بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه دراسة سريعة للشاعر السودانى الشاب ، التيجانى يوسف بشير ، المتوفى سنة ١٩٣٧ ، بعد أن قضى من العمر خمسة وعشرين عاما تقريبا ، ظهر فيها نبوغه ، وخلف لنا مجموعة قيمة من الشعر ، قام على نشرها نفر كرام ، أحسنوا صنعا بإذاعة هذا الشعر على الناس .

وما كاد قسم اللغة العربية بجامعة الخرطوم ، يطّلع على هذا الشعر حتى بادر بتقرير دراسته لطلاب كليـــة الآداب بهذه الجامعة فى مقرر الأدب العربى الحديث .

وقصدى من هذه الدراسة السريعة ، أن أعرف قراء العربية بشاعر مجدد ، أرى أنه جدير بأن يتبوأ مكانه بين شعراء العربية المجددين .

وأحب أن أبادر هنا بالإشارة إلى المقصود من كلمة (شاعر مجدد) ، ففى تعريف التجديد فى الشعر خلاف بين المحدثين . فيرى بعضهم أن التجديد ظاهرة فى كل عصور الأدب [١] . فشعراء العصر الأموى مجددون ، وشعراء العصور العباسية مجددون ، وأمثال شوقى وحافظ والبارودى مجددون ، وأصحاب هذا الرأى يصفون بالتجديد كل شعر يتناول معانى جديدة طرأت فى عصر الشاعر ، ويصور آراء سياسية

---

(١) التجديد فى الأدب المصرى الحديث للاستاذ عبد الوهاب حموده ص ١٨

واجتماعية نبتت فى بيئة الشاعر ، ويصف مظاهر طبيعية خاصة ببلاده .

ونحن نعترض على هذا الرأى . فإن من اليسير على مؤرخ الأدب العربى أن يلمح بوضـــوح فرقا بين نوعين من الشعر العربى : نوع يتناول معظم الشعر العربى منذ الجاهلية حتى القرن التاسع عشر الميلادى ، ونوع جديد تأثر بمؤثرات الثقافة الغربية الحديثة ، ونشأ بين أدباء الشام ومصر وغيرها من البلدان . وهو نوع متميز بخصائصه عن النوع الأول كله . وتستطيع أن تضع الشعر القديم ومن جرى عليه من الشعراء المحدثين فى كفة ، وتضع هذا الشعر الجديد فى كفة أخرى .

فإذا جاز أن نسمى أصحاب الطريقة القديمة مجددين ، فكيف نسمى هذه الطائفة الجديدة ، واست بحاجة إلى بيان مافى اقتراح بعضهم تسمية أصحاب الطريقة القديمة ، بأصحاب التجديد التقليدى ، من تسمية عجيبة ، تجمع بين متناقضين . وكان يكون التعبير أعجب ، لو أنهم جروا مع القياس ، وليس ذلك عليهم ببعيد ، فسموا الطائفة الجديدة أصحاب التجديد التجديدى !

ومن البديه أن يختلف الشعراء بعضهم عن بعض . ومحال أن تكون نفوس البشر جميعا ، نسخا متشابهة . فاذا جاز أن نعد آثار الشخصية فى الشعر تجديدا ، فهذا ينبغى أن ينسحب على الجاهليين أنفسهم ، إذ كان شعر كل من الأعشى ، وزهير ، وامرىء القيس ، وعدى بن زيد ، ولبيد ، وطرفة ، وغيرهم من شعراء الجاهلية ، قد صدر عن شخصية صاحبه وتأثر ببيئته وشارك مجتمعه .

فالمسألة أيسر من هذا كله ؛ فليس التأثر بالبيئة ، ولا ظهور الشخصية

فى الشعر . بتجديد على الحقيقة . ولكنه تنوع فى نطاق مجموعة بعينها من الشعر ، تشترك فى صفات عامة ، وتتفق فى خطوط رئيسية ، وتقوم على أصول فنية واحدة .

فإذا أردنا أن نرسم حدودا بين التجديد والتقليد ، فعلينا أن نأخذ المسألة من بابها : أن نتجه أولا إلى أصول الفن عند هذه الطبقة أو تلك ، لا إلى البيئة ولا إلى الشخصية . فالبيئة والشخصية أمران لا مناص من أثرهما على كل شاعر سواء أكان مجددا أم مقلدا .

وأصول الفن عند أصحاب الطريقة القديمة — أو التقليدية — واحدة لا تكاد تتغير إلا فى أشعار قليلة جدا لبعض الشعراء القدامى . وظل الشعراء على اختلاف بيئاتهم وعصورهم ، ينظمون على هذه الطريقة حتى جاء القرن التاسع عشر الميلادى ، وظهرت آداب السوريين واللبنانيين ، وهاجر بعضهم إلى أمريكا ومصر وغيرها ، ونشروا أدبا عربيا له طابع يختلف عن القديم إلى حد بعيد ، تأثروا فيه بالثقافة الفرنسية والإنجليزية .

ثم انتشرت طريقة أهل المهجر ، وانتشرت الثقافة الفرنسية والانجليزية فى الشرق ، وأخذ فريق من أدباء مصر والعراق والسودان ينهلون منها ويحذون حذوها ، ومن بينهم التيجانى . وهذه الطريقة هى التى نخصها بصفة التجديد . لأن أصحابها فارقوا الطريقة المألوفة ، وأقاموا الشعر على أصول فنية لم تكن — غالبا — معروفة لدى القدماء والذين لفوا لفهم .

فالمجددون بحق هم هؤلاء الذين تأثروا بالأدب الغربى فى اتجاههم الفنى تأثرا واضحا . فلم يكن شوقى ولا حافظ ولا البارودى ولا صبرى

مجددين بهذا المعنى . وهم وإن كان لِكل طابع وشخصية فقد جروا على الطريقة التقليدية فى أغلب ما أثر عنهم .

والشعراء المجددون ، كالشعراء المقلدين ، فيهم الكبير والشهرور ، والمجيد والمتهافت ، والمتمكن من العربية ، وضعيف الإلمام بها . فليس من الانصاف فى شيء . أن نرمى هذه الطبقة أو تلك ، دون الأخرى ، بالعيب والقصور .

ولعل شعر التيجانى الخاص بالجمال ، مثل واضح على الشعر الجديد . وسنرى فى فنه أهم الصفات العامة التى تتميز بها طريقة المجددين .

وأخيرا أحب أن أقرر منذ الآن أننى قصدت فى هذا البحث إلى دراسة جانب واحد من شعر التيجانى : هو الشعر الذى تغنى فيه بالجمال ثم خصائص هذا الشعر الفنية .

مايو سنة ١٩٥١ عبد المجيد عابدين